



حجارة للحوار

أيهما أكثر دلالة، ما تُسبب الى جنرال اسرائيلي من تهديد بقصف مقر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في رام الله، أم نفي المسؤولين الاسرائيليين ذلك ومحاولتهم التقليل من أهمية القضية؟ يصعب الجزم. فاذا كان التهديد ينم عن شعور اسرائيلي بأن وجود السلطة الوطنية الفلسطينية يشكل عامل دعم للانتفاضة الشارع، رغم ضرورات المهادنة الدبلوماسية، فان نفي حصول هذا التهديد يعني في المقابل ان هذه الضرورات الدبلوماسية ليست أحادية الجانب، وانما تنطبق على اسرائيل كذلك.

بل لا بد ان يكون التمسك الاسرائيلي بخيط الحوار مع السلطة الفلسطينية قويا جدا، رغم الانفجار الميداني (او ربما بسببه)، حتى يضطر يوسي بيلين ان يتفوه بما يعد هرطقة في مجتمع سياسي مولع بمؤسسته العسكرية ومعتاد على تغطيتها في كل الظروف، حين قال ان "تصريحا يصدر عن ضابط لا يلزم اسرائيل". وفي أي حال، ان كلا الحداثين، أي التهديد (وإن يكن مجرد شائعة) ونفي هذا التهديد، يشتركان في كونهما وليدي الوضع الذي أوجده قيام الحكم الذاتي الفلسطيني بعد اتفاق اوسلو، وباعدتهما الى هذا السياق يساعدان على تفادي أي قراءة خاطئة لما يجري في فلسطين منذ أيام.

ولعل الخطأ الاول قد يكون في اعتبار لجوء الشارع الفلسطيني مجددا الى سلاح الحجارة والمواجهات الدامية مع قوات الاحتلال بيلا من التفاوض. مع العلم ان أحدا في فلسطين لا يقع في هذا الوهم الذي تنحصر "جاذبيته" بمتمهني خطاب الحمية البعيد عن واقع السياسة الفلسطينية بكل تياراتها. ذلك ان المواجهات بين الفلسطينيين والاحتلال تكتسب أهميتها من انها ترافق المفاوضات، أي تكن "القناة" التي تؤطرها الآن. بيد انه سيكون أيضا من الخطأ اعتبار الثورة الشبابية الاخيرة قدرة على تغيير ميزان القوى جذريا وتاليا قلب وجهة المفاوضات رأسا على عقب.

فمتلما يضطر الاسرائيليون الى التحرك ضمن هامش ضيق بين التهديد ونفي التهديد، بما قد يؤمن لهم عودة الهدوء دون كسر العلاقة مع السلطة الوطنية، كذلك ان القيادة الفلسطينية محكومة ايضا بضرورة المحافظة على لغة الحوار مع اسرائيل، وإن تكن تسعى الى الافادة القصوى الممكنة من ضغط الشارع على الاحتلال. وفي الممارسة الميدانية للشرطة الفلسطينية أبلغ تعبير عن المزوجة بين منطلق الاستقواء بالشارع والاضطرار الى لجمه، بين تحدي جنود الاحتلال والتفاهم معهم.

ولا ريب في ان القيادة الفلسطينية تدرك قبل غيرها ان مفعول مثل هذه المواجهات على المسيرة الدبلوماسية، على ايجابيته، يبقى أبطأ وأضعف مما قد توحيه حماوة التغطية الاخبارية، وقد كان ذلك أحد أبلغ دروس الانتفاضة الكبرى في نهاية الثمانينات. وهنا تحديدا يقع ربما الخطأ الأكثر شيوعا عند قراءة الاحداث، اي في توصيفها. نعم، ان ما يجري في فلسطين منذ أيام هو انتفاضة، ولكنه ليس "الانتفاضة". أكثر من ذلك، ليست كل انتفاضة مرشحة للنجاح نفسه.

فاذا كانت "الانتفاضة" الكبرى التي اندلعت في نهاية ١٩٨٧ واستمرت زهاء عامين، قد تحولت اسم علم في جميع اللغات العالمية وشكلت منعطفا في التاريخ الفلسطيني الحديث لكونها ثورة شعبية طويلة النفس، فانها لم تكن بداية الكفاح الفلسطيني، ولا كانت نهايتها انهاء لهذا الكفاح. فظاهرة



انتفاض الشباب الفلسطيني تكاد تكون ملازمة لواقع الاحتلال، وقد شهدت الاراضي المحتلة انتفاضات عدة في السبعينات والثمانينات، بعضها استعر لأسابيع، وبعضها قد أخدم بسرعة، لكنها كانت جميعها محطات في مسلسل تراكمي انتهى الى توليد الانتفاضة الكبرى في ظرف استثنائي كما في كل ثورة كبيرة في العالم.

كذلك، اعتبرت نهاية "الانتفاضة" انتفاضات اخرى، أقل دواما او نجاحا. واذا كانت هذه الانتفاضات أفادت من تجربة الانتفاضة الكبرى او من زخمها، الا انها لم تكن استمرارا أليا لها، أقله لأن ظروفها اختلفت. ولا شك في ان ابرز تغيير كان اقامة الحكم الذاتي ودخول الفدائيين الى الاراضي المحتلة بلباس "الشرطة". وقد صار واضحا الآن، بعد انتفاضات عدة تعايشت معها هذه "الشرطة" وصولا الى تقدم احداها بالرصاص الموجه ضد الاسرائيليين (عام ١٩٩٦)، ان لا عملية التفاوض ولا الانحراف المخابراتي لبعض الاجهزة الفلسطينية يؤديان الى تغييب البعد الشعبي الجماهيري في السياسة الفلسطينية وتاليا في "الحوار" مع الاسرائيليين. تلك هي ربما الاهمية الكبرى للانتفاضة القائمة في فلسطين.

انها تعطي صورة عما قد يؤول اليه مشهد السلام في السنوات المقبلة، بعيدا عن التبسيطات الثنائية. فاذا كان يرجح ان تتسم مرحلة ما بعد التسوية بالهدوء بين اسرائيل والدول العربية، فان "السلام" الفلسطيني، وبعضهم لا يزال يسميه إذعانا، هو ما يبقي الصراع حيا.

سمير قصير



Id-Reference	00-Pr-000402	
Media	(Support)	HC
Title		حجارة للحوار
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تتمة ١١
Date		٢٠٠٠/٥/١٩
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	ياسر عرفات - يوسي بيلين
	Locations	فلسطين - اسرائيل - رام الله
	Dates	١٩٨٧
	Themes	فلسطين - انتفاضة - مفاوضات - إتفاق اوسلو - اسرائيل - حوار فلسطيني.اسرائيلي - اراضي محتلة - شرطة فلسطينية - تسوية سلام - سلطة فلسطينية - حكم ذاتي - سياسة فلسطينية
Subject		